المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية

د. عبد الرحمن الحاج صالح

رئيس المجمع الجزائري للغة العربية

إن أكثر المعاجم العربية التي ألّفت منذ النهضة إلى غاية منتصف القرن العشرين تتصف غالبا بصفتين اثنتين: اعتماد أصحابها على المعاجم القديمة واستخراجهم منها ما يبدو لهم من الألفاظ التي يحتاج إليها المثقف العربي في عصرنا هذا أو مما قد يرد بكثرة في النصوص القديمة أو الحديثة. وذلك بدون اللجوء إلى أي مقياس علمي إلا التحسّس أو الهاجس معتمدين في ذلك عند العلماء المتميّزين منهم على علمهم الغزير ومعرفتهم العميقة للغة العربية وخاصة مفرداتها ومدلولاتها. وهذا لا بد من الاعتراف به. فهم لا يرجعون في الغالب إلى الاستعمال الموضوعي للغة العربية في خارج ما تحصل لهم من علم عن هذا الاستعمال كما كان يفعله علماؤنا القدامى الذين دونوا كلام العرب وكما يفعله العالم اللساني في زماننا هذا فالصفة الثانية هي عدم لجوئهم إلى تدوين واسع لما يستعمل بالفعل الآن باللغة الفصحى أو استعمل قديما أي إلى مدونة كبيرة من النصوص يعتمد عليها الباحث كمرجع موثق شاهد على الاستعمال الحقيقي للغة الفصحى. ثم إن أكثر المعاجم العامة التي ظهرت في هذه الفترة كانت، زيادة على ذلك، لا تتعرض إلى اللغة المعاصرة، أي المولد من الألفاظ، إلا قليلا مع أن هذا المولد قد يكون وضع على قياس كلام العرب مثل السيارة والطيار والباخرة والقطار وغير ذلك وقد دخل ذلك في الاستعمال وشاع شيوعا واسعا وأخص بالذكر المولد العفوي الذي وضعه أفراد الشعب للضرورة الملحة[1] .

1 ـ ولم يكن للألفاظ التي وضعتها المجامع نفس الحظ مع الأسف. والسبب في ذلك في نظرنا هو عدم تدخل الحكومات بحزم لنشرها في المدارس والجامعات ووسائل الإعلام.

المعجم العربي في زماننا هذا :

لقد تأخر المعجميون العرب تأخرا كبيرا في العناية باللغة المستعملة بالفعل – القديمة الحديثة – ولم يظهر منهم هذا الاهتمام إلا القليل منهم التفت إلى حدّما مؤلفو المعاجم في نهاية التاسع عشر والقرن العشرين مثل عائلة البستاني والاسكندر معلوف وغيرهم إلا أن ذلك كان قليلا وغير منتظم[2] . وقد سبقهم إلى ذلك مؤلفو المعاجم المزدوجة اللغة العامة لا المتخصصة ـ وهذا طبيعي ـ وكان أكثرهم من غير العرب. فمن تلك المعاجم نذكر معجم ليون برشي: leon bercher lexique Français -arabe الصادر بالجزائر في 1938 ثم في 1944 ويقول صاحبه أنه أراد أن يكمل معجم) belot الذي تنقصه الكثير من الألفاظ المولدة المعاصرة). ثم صدر بعد ذلك معجم المستشرق المشهور شارل بيلا L' Arabe vivant :(ch.pellat) نشر في باريس في 1952. وأعظم معجم تناول الاستعمال المعاصر للعربية الفصحى هو ما قام بوضعه العالم الألماني هو هانس واهر[3] Hans wehr وعنوان:

(Arabisches w?rterbuch für die schriftsprache der gegenwart (Münster 1952

ونقله على الفور إلى الإنجليزية الأمريكي كوان J.Milton Cowan وضم إليه الإضافة وسماه : (Wiesbaden, 1961 A Dictionnary Modern Written Arabic)

وقد جمع هذا المعجم بين ما اشتمل عليه معجم Bercher ومعجم Pellat وغيرهما واعتمد صاحبه أيضا على مدونة اشتملت على عدة نصوص مما أنتجه طه حسين ومحمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور وجبران خليل جبران وامين الريحاني وغيرهم.

فهذه المعاجم تخص اللغة العربية المعاصرة وتحتوى على الكثير من مصطلحات الإدارة والفاظ السياسية. وفضلها الكبير، ولا تعاد لها في ذلك أي محاولة، هو اعتمادها على

2 – مقصودنا هو الفصحى ليس إلا.

3 – سبق هؤلاء ا.إلياس بمعجمه المسمى Modern Dictionnary Arabic- English (ط.3 في 1929).ووضع واهر إضافة للطبعة الأولى الصادرة في 1952 وذلك في 1959.

مرجع علمي لا يمكن ردّه وهو تدوين لما يستعمله الناس بالفعل من العربية الفصحى وإن كان ينقصها شيء - إن كان هناك نقص- فهو في نظرنا عدم التفاتها الى الاستعمال المنطوق للفصحى (الخطب المسموعة والمحاضرات والموائد المستديرة وكل ما يذاع في الإذاعة وغير ذلك) وهذا قد قصده بالفعل المؤلف.

وبدأ المؤلفون العرب للمعاجم العربية غير المزدوجة يبدون شيئا من الاهتمام باللغة المعاصرة ويتراءى ذلك في محاولة أصحاب معجم «المنجد» بإدخال بعض الكلمات المولدة وكذلك الدخيلة منها الشائعة ولابد من الاعتراف لهم بفضل عظيم جدا وهو رجوعهم الدائم الى التراث للبحث عن اللفظ الفصيح الدال على مسمى قديم قد يُسَمَّى في كل بلد من البلدان بتسمية أخرى غير الفصيحة وذلك كأسماء الحيوانات والنباتات (التمّ والفقه وحمار الزرد وغير ذلك). وصدر في السنوات الأخيرة «المعجم الوسيط» في مصر والمعجم الاساسى نشرته المنظمة العربية والثقافة والعلوم وحاول أصحابهما أن يدخلوا الكثير من الألفاظ ذات المدلول المحدث- وأكثرها من الدخيل أو العامي الجاري استعماله في لغة التخاطب-مَهْمَا كان فهو محاولة طيبة في إدماج المستعمل حديثا في المعجم العامة.

هذا وعزم أصحاب «المنجد الحديث» على تأليف منجد اللغة المعاصرة بكمالها. ونشروا في عام 2000: «المنجد في اللغة العربية المعاصرة». يقول أصحابه في مقدمتهم له: «يضم (هذا المعجم) جميع المفردات والعبارات التي يحتاج إليها مثقف القرن الحادي والعشرين حتى المأخوذة من اصل غير عربي». وهي محاولة جدّ إيجابية وسيكون لها اثر عميق في نشر الثقافة المعاصرة بالعربية ومن هذا عدم الاكتفاء في ذلك بلغة أجنبية كما هو الحال في الكثير من المؤسسات التعليمية والعلمية العربية (مع الأسف) في زماننا هذا.

إلا أن المعجم (وكذلك كل المعاجم التي ذكرناها) اعتمد على منهج فيه شيء من التساهل وهو الاكتفاء بالمسح للمعاجم المزدوجة اللغة واختبار اللفظ العربي المقابل للفظ الإنكليزي أو الفرنسي بدون مقياس علمي يعتمدون عليه في الاختيار.

هذا وقد كثرت في هذه السنوات الأخيرة المعاجم المزدوجة اللغة وقد سبق كل هذا

ما صدر في ونهاية القرن الماضي من المعاجم المزدوجة الجيدة مثل المورد (إنكليزي/عربي) والمنهل (فرنسي/عربي) وفيهما من المصطلحات الحديثة الكبيرة الورود في الاستعمال ويبدو هنا أيضا أن المؤلفين اعتمدوا غالبا على الحدس والتخمين الشخصي نظرا الى عدم اعتمادهم فيما يبدو على تدوين واسع وكان اعتمادهم هنا أيضا على معرفتهم الواسعة للغة العربية في استعمال المحدثين لها (وإلاّ ما كان يمكن أن يختاروا المفردة المتواترة).

ضرورة الرجوع الى الاستعمال الحقيقي للفصحى، الحديث منه والقديم: في البحث المعجمي وفي صناعة المعاجم

منذ عشرات السنين كنت أتساءل باستمرار لماذا يقلد العرب في عصرنا الغربيين في كل شيء في كل ميدان علمي أو غير علمي ويقتبسون منهم كل شيء- بدون تمحيص غالبا- إلا في ميدان واحد وهو صناعة المعاجم ووضع المصطلحات. فما لاحظناه عند العلماء الغربيين في هذا الميدان هو اعتمادهم المطرد على الاستعمال- ولا يشذ عن ذلك أحد- عند تأليفهم لمعجم عام أم مختص. وذلك على شكل تدوين لعينة كبيرة لهذا الاستعمال وعلى أساس القواعد المتعارف عليها في تأليف المعاجم. وقد يكون هذا الاستعمال موزعا على أقاليم أو بلدان وغير ذلك من الأماكن وذلك ليمكن الإشارة إلى كثرة الاستعمال أو قلته في كل هذه الأماكن (ويطرد هذا في معجم اللهجات واللغات الإقليمية والعاميات) وقد يهتم المعجمي الى تطور المفردة لفظًا ومعنى عبر الزمان في مختلف الأقاليم فلابد أن يعتمد إذن على مدونة تغطي الاستعمال لعدة سنوات بل قرون.

ولنأخذ مثال «ذخيرة اللغة الفرنسية Tresor de la langue Française» فإنه يغطي الاستعمال للغة الفرنسية لمدة قرنين وقد دونت المعطيات اللغوية (النصوص الأدبية والعلمية) لما أنتجه الفرنسيون في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. وتتبع الباحثون استعمال كل مفردة في جميع سياقاتها في جميع النصوص المدونة. ولجأوا في ذلك الى الحاسوب. ثم حرر كل عالم عددا من المداخل اعتمادا على هذا الذي دوّنوه أولا ثم على الدراسات الدقيقة للسياقات-كل السياقات- لجميع الكلمات. فأصدروا هذه الذخيرة في

16 جزءا كبيرا على شكل معجم (من 1976 إلى 1994) (وهو عام وتاريخي وعلمي). ثم شرعوا في حوسبة المعجم نفسه آليا وأنهوا هذا العمل الكبير العملاق في 1998 ولم يبخلوا فبذلوا الجهود والأموال الهائلة لإنجازه ووفّقوا الى حدّ بعيد في كل ذلك فهو الآن في متناول أي باحث في أي وقت باللجوء الى شبكة الانترنيت [4] .

هذا والاستعمال لا ينبغي أن يقتصر فيه على زماننا الذي نعيش فيه فهناك مئات الآلاف من النصوص في التراث لم تجمّع بعد ولم تستغل لتشتتها فحان الوقت أن تحوسب وترتبط بعضها ببعض حاسوبيا حتى يتمكن الباحث أن يلقي كل الأسئلة الممكنة عليها وذلك مثل هذا السؤال: هذا المفهوم المعبّر عنه بهذه الكلمة الإنكليزية هل له مقابل في الاستعمال في وقتنا هذا أو أكثر من مقابل وما هو الأشيع وأين ورد وما سياقاته وما درجة تردّده في جميع هذه النصوص ثم إن لم يرد في الاستعمال فأي لفظ عربي يقابل هذا المفهوم إن كان وضع له لفظ بقي حبرا على ورق (في قوائم المصطلحات الموضوعية). وسؤال آخر مثل: كلمة «فصيح» ما هي السياقات التي وردت فيها منذ أول ظهورها في نص إلى يومنا هذا. ومن هذه السياقات المجمّعة يمكن أن يستنتج الباحث مختلف المدلولات التي دلت عليها من عصر إلى آخر وهذا يؤدّينا الى الكلام عن مشروع المعجم التاريخي.

المعجم التاريخي : كيف، يا ترى، يمكن أن تستخرج مدلولات الألفاظ المختلفة عبر العصور إن لم يلجأ إلى مثل هذه الذخيرة الآلية الحاسوبية. وقد يستطيع الباحث إذا قلّت النصوص في عصر من العصور كالجاهلية-مثلا- أن يفترض وجود بعض المدلولات لبعض الألفاظ في هذا العصر بفضل تحليلاته للسياقات القليلة التي وردت فيها ولكن كيف يمكن أن يستدلّ على ذلك إذا عُدَّت النصوص بالملايين ابتداء من القرن الثاني الهجري وما بعده وكيف يمكنه أن يستخرج هذه المدلولات بدون أن تكون لديه وتحت تصرفه مجمعة مدوّنة محوسبة مندمجة[5] هذه الآلاف من النصوص.

4 - قام بهذه الحوسبة العظيمة مجموعة ATIF تحت إشراف الدكتور J.M.Pierrel وهو ممن نتعاون مع فريقه الآن في بحوث مشتركة.

5 - ولابد للنصوص من هذا الاندماج ليمكن مسحها بالحاسوب وهذا لايمنع من أن تجمّع على حصور وعلى مختلف فنون المعرفة .

ويوجد في التراث الكثير من الألفاظ الفصيحة القديمة والمولدة (لأنها جاءت على قياس كلام العرب) الدالة على مسميات حضارية وما يتعلق بالحياة اليومية من اسماء للأدوات ووسائل النقل واسماء لأجزاء هذه الأدوات ووسائل النقل وأنواع الملابس والمأكولات ويكثر ذلك في القصص وكتب الأدب والتاريخ والرحلات وأوصاف المجتمعات وغير ذلك ولا يمكن أن يحصر كل ذلك إلا بهذه الحوسبة للنصوص التراثية بأكملها لا بجزء صغير منها كما هو الحال في زماننا [6] .

فالرجوع إلى الاستعمال القديم ضروري جدا على مثل الرجوع إلى استعمال الناس للفصحى في عصرنا هذا. ثم زيادة على ما تحصله من السهولة للباحثين في اللغة ووضع المصطلحات فإن المدونة الآلية (الحاسوبية) هي بمنزلة مرجع كبير جدا يغطي كل التراث مع هذا الفارق العظيم: إنه يستجيب لأي سؤال بسرعة الضوء ويمدنا بمعلومات لا يمكن أن نحصل عليها بالأيادي الجرداء ولو اجتمع على ذلك ألف شخص في اكثر من سنة.

ومهما كان الأمر فإنه لا يتصوّر أن يوضع معجم في اللغة بدون توثيق لما يتضمنه من الألفاظ ودون أن يُعرف من أين استقيت فهل هي ألفاظ وضعتها جماعة من العلماء واقترحها صاحب المعجم أم هي مفردات وردت في الاستعمال بالفعل؟ وهذا قد حققه علماؤنا قديما وكانوا يوثقون ذلك بأكثر من شاهد. فلماذا نتراجع نحن اليوم عن هذه الميزة العلمية التي يبنى عليها مل عمل وكل باحث علمي؟

ثم إننا لا نقصد من كلا منا هذا أن يكون الاستعمال للفصحى في عصرنا هذا هو الاستعمال الأمثل فيجب أن يتّبع كما هو. فإن في هذا الاستعمال الشيء الكثير من الاختلاف (كثرة المصطلحات للمفهوم الواحد) والكثير من العامى والدخيل [7] وأخطر من هذا هو وجود فراغات مهولة: فهناك مفاهيم علمية كثيرة جدا لا مقابل لها في اللغة. ولكن كيف يمكن أن نعالج هذه النقائص إن لم نستطع أن نطلع على كل هذه الاستعمالات ـ كل

6 - والذي نرجوه هو التغطية الكاملة لما أبدعه علماؤنا الاولون على الأقل وكذلك المتب التي عُنيت بوصف الحياة العامة.

7 - الدخيل ظاهرة طبيعية ولكن التوليد بوسائل الاشتقاق هو أيضا ظاهرة طبيعية فلا ينبغي أن يطغى الأول على الثاني وإلا تحولت اللغة إلى لغة أخرى.

ما يجرى استعماله حقيقة لا فيما يتخيله الناس- أي بالدقة العلمية التي لا تسامح فيها وهو المسح الكامل للواقع. واطلاعنا الموضوعي (بدون سابق ظن) على جميع ما ورد في التراث بالشمولية الكاملة سيمكننا من استبدال غير الفصيح بالفصيح[8] ويجب أن يراعى في ذلك- أي في اختبار اللفظ وإقراره-القوانين الاجتماعية وغير الاجتماعية التي يخضع لها شيوع اللفظ وعدم شيوعه (وهي معروفة اكتشفت قديما وتحقق من وجودها العلماء في عصرنا).

مستقبل المعجم العربي:

قواعد المعطيات النصية أو مشروع الذخيرة العربية

إن الوسائل التكنولوجية الحديثة وأخصُّ بالذكر الحاسوب في أحدث صوره هي التي ستمكننا من تدوين العدد الهائل من النصوص بالفصحى (الأدبية والعلمية والتقنية وغيرها) يتراءى فيها الاستعمال المعاصر وكذلك الاستعمال في كل عصر من خلال النصوص التراثية التي وصلت إلينا[9]. وكنا قد عرضنا هذا المشروع على عدة جهات منها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وأخيرا على اتحاد المجامع اللغوية وغيرهما.

إن ما أسميناه بمشروع الذخيرة اللغوية العربية يرمي إلى ضغط بنك لآل(حاسوبي) من النصوص القديمة والحديثة بالعربية الفصحى ويفترق عن البنوك المتواجدة بـ:

1 ـ الشمولية الكاملة (في المكان والزمان)

2 ـ اندماج المعطيات النصية ـ كأنه نص واحد ـ حاسوبيا ومرتبة ومصنفة بحسب العصور وفنون المعرفة

---

(8) ولابد حينئذ من تدخل ذوي السلطة لإدخال هذه الألفاظ في التدريس: المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات من جهة وإشاعتها بوسائل الإعلام وإن لم يتم هذا فسيبقى عمل المجامع وكل الواضعين بدون جدوى.

(9) وهذا العمل سيكون حافزا ومحركا لأعمال جليلة أخرى وهي تحقيق المخطوطات بكيفية منتظمة (مبرمجة وجماعية) وسيؤدي ذلك إلى تشدّد أكبر في التحقيق العلمي.

3 ـ كونه آليًا وعالميًا إذ سيكون له موقع في شبكة الانترنيت.

4 ـ يمثل الاستعمال الحقيقي للغة العربية قديما وحديثا وبذلك يكون موثقا التوثيق الكامل ويضاف إلى ذلك ما لم يدخل في الاستعمال ولم يشع أو ترك منذ زمان مما هو موجود في المعاجم القديمة والحديثة أو في قوائم المصطلحات المجمعية.

5 ـ سرعة استجابة هذا البنك لأي سؤال.

فهذا البنك الآلي الشامل لا يمكن أن يستغني عنه في هذا الزمان الذي نعيش فيه وعلى أساسه وبالرجوع إليه وبالاستقاء منه لكل المعلومات اللغوية الخاصة بالاستعمال الحقيقي للعربية خاصة. يمكن أن تحرّر الكثير من الدراسات وتؤلف الأنواع الكثيرة من المعاجم وذلك مثل:

ـ المعجم التاريخي الذي أشرنا إليه

ـ معاجم تقنية (مصطلحات العلوم والثقافة)

ـ معاجم للمعاني

ـ معاجم ألفاظ الحياة القديمة والحديثة

ـ معاجم بأسماء الأعلام والأماكن

وغير ذلك من المعاجم.

حجة واهية لبعض المعارضين[10] : ضخامة العمل[11]

أجمع العلماء على أهمية هذا المشروع القومي وخطورته وذهب الكثير إلى أنه ستتوحد المصطلحات العربية بالرجوع إلى الذخيرة بكيفية تلقائية(سيختار الباحثون اللفظ الفصيح الأشيع) ثم إنه سيمكّن كل مواطن من ان يطّلع على معلومات ثقافية تربوية صعبة المنال زيادة على اللغوية منها وذلك بسبب السهولة العجيبة التي يتصف بها البحث في

(10) ولا يتجاوزون ثلاثة أشخاص

(11) ضخامة العمل بالنسبة لإدخال النصوص في ذاكرة الحاسوب.

الانترنيت. وإن كان الانترنيت يجيب عن كل شيء بلغة أجنبية (و62 بالمائة بالإنكليزية الآن) فإن المعلومات الخاصة بتراثنا ضئيلة جدا بل ومشوهة. فحان لنا أن ننشئ انترنيتا عربيا للحفاظ على هذا التراث العظيم على مستوى الوطن العربي وفي جميع الأوساط والفئات الاجتماعية ولفائدتها.

ألا يحق لنا أن تتضافر جهودنا على هذا المستوى العالي وهو مستوى الدول وأن تشارك في انجازه كل المؤسسات العلمية العربية وإذا قسنا ضخامة هذا العمل بفوائده الثورية فلا يمكن لعاقل ورجل نزيه إنكار هذه الحقائق والتمسك العنيد بحجة «ضخامة العمل» ! (الى متى؟).

معجم الطفل

عمل كبير أنجز في هذا الميدان على مستوى الوطن العربي: وهو الرصيد اللغوي العربي لقد ألّفت في عصرنا معاجم مدرسية جيدة وهي محاولة طيبة نافعة بلا شك إلا أنَّ أكثر ما ألف إلى الآن لم يخضع بعدُ للمقاييس العلمية التي يجب أن تعتمد عليها في هذا الميدان. وأكثر هذه المعاجم الخاصة بالطفل أو الطلاب اعتمدت كما قلنا على المعاجم القديمة مع التفات غير كاف إلى ما أحدث في أيامنا من أسماء الآلات والمفاهيم العلمية والتقنية وما أبدع من ذلك وغير ذلك. وكل ذلك تم على طريقة ذاتية في الغالب لا تعتمد على جرد النصوص المحررة أو المنطوقة(الفصيحة) بل يختار أصحابها غالبا ما يبدو لهم أنه معروف شائع ويضيفون إلى ما اختاروه بعض الكلمات ذات المفهوم المحدث كما هو الحال بالنسبة إلى سائر المعاجم. أما المقاييس في هذا الاختبار وهذه الإضافات فهو حَدْسي محض في غالب الأحيان وهو الشعور الذاتي بأن هذا اللفظ أو ذاك هو المناسب أو هو الشائع (بالنسبة إلى أي بلد أو أي فئة؟) أو متروك تماما.

وقد أنجز بعض العلماء في المغرب العربي في السبعينيات الأخيرة مشروعا سمّوه

«بالرصيد اللغوي الوظيفي» وكان إجابة ملموسة للسؤال المتداول في اوساط التربويين آنذاك: ماذا يجب ان نقدم بالفعل في مدارسنا للمتعلم من مادة لغوية نوعا وكمّا؟ وكان يتصف هذا الذي يقدم للطفل(وما يزال في غالب البلدان) بالإفراط والتفريط أي كثرة المفردات بالنسبة للصف الواحد وحشو ذهن الطفل بما لا يفيده في سنه ولا فيما بعد، من جهة وقلة الألفاظ بل وفقدانها من جهة أخرى فيما يحتاج إليه أشدّ الحاجة في حياته اليومية من تسميات للأسماء المحدثة في زماننا هذا. فكأنَّ المدرسة هو مكان غريب في حياة الطفل لأنَّها ى تستجيب لهذه الحياة بالذات. وعلى هذا حدّد أصحاب هذا المشروع فكرة الرصيد هكذا: «إنَّ الرصيد من اللغة التي يجب أن يُعَلَّم للطفل هي مجموعة من المفردات والعبارات العربية الفصيحة أو ما كان على قياسها مما يحتاج إليها التلميذ في سنٍّ معينة من عمره حتّى يتسنَّى له التعبير عن الأغراض والمعاني العادية التي تجري في التخاطب اليومي من جهة ومن ناحية أخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية والعلمية الأساسية التي يجب أن يتعلمها في هذه المرحلة» (12).

واعتمدوا في استخراج هذا المعجم على هذه المبادىء:

1 ـ ينبغي أن يُنطلق من الواقع المشاهَد ومن رصد الواقع

2 ـ أن يكون هذا الواقع المنطلق منه المعنّي بالأمر وهو المتعلم نفسه: ينطلق من اهتماماته وما يحتاج إليه بالفعل لمواجهة الحياة لا لإلقاء الخطب وقرض الشعر فقط.

3 ـ ألاَّ يتجاوز الرصيد الحد الأقصى الذي يستطيع الطفل أن يكتسبه وألاَّ يقل عما يجب أن يعرفه.

وعلى هذا تم استخراج الرصيد بالنظر في ثلاثة أنواع من المعطيات فوجب جردها فيما يخص مفرداتها مع ضبط تواترها وانتشارها: الكتب المدرسية وعيِّنة من كتابات التلاميذ وما

(12) أما ما سيحتاج إليه فيما بعد فله الحياة كلها للحصول عليها.

يتفوهون به في مخاطباتهم مع الصغار والكبار، وبهذا تحصلوا على اهتمامات الطفل وما يوجد بالفعل في لغته من فصيح وغير فصيح ومن عربي وأعجمي (وسجّل كلام الطفل في كل البلدان المغربية في المدن والأرياف). وتمّ الإحصاء بالحاسوب ثم اخْتيرت الألفاظ الفصيحة الشائعة والكثيرة الدوران واضطروا إلى سدّ الثغرات الكثيرة ـ وتخص المسميات الحديثة ـ بوضع ألفاظ تدل عليها أو تعميم لفظ فصيح يستعمل في بلد واحد أو ناحية واحدة من البلد الواحد (مثل توت الأرض للفراولة أو صفاق العجلة وغير ذلك).

وضبطت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم رصيدا مماثلا بنفس الطريقة وشمل كل البلدان العربية بدون استثناء[13].

- معاجم المعاني

ابتكر العلماء العرب هذا النوع من الفنون اللغوية، وقد لا يصحّ أن يطلق عليها اسم المعجم لأن أغلب ما ألّفوه في هذا الميدان فمادته اللغوية غير مرتبة الترتيب الألفبائي . **إلا أنه لا يمنع الباحث في زماننا أن يعيد ترتيبها على هذا النمط وهذا اقترحناه أيضا منذ القديم: نضيف إلى الكتب القديمة التي عالجت موضوع المعاني فهارس متنوعة:** أحدها للمعاني نفسها وآخر لكل الألفاظ التي وردت فيها وذلك ليسهل الرجوع إليها. وقد ظهرت في القديم كتب مهمة جدا، من ذلك «الغريب المصنّف» لأبي عبيد القاسم بن سلام و«تهذيب الألفاظ» لإبن السكيت و «الألفاظ الكتابية» للهمداني و «متخيّر الألفاظ» لابن فارس و «فقه اللغة» للتعالبي و «المخصص» لأبن سيدا.وكلها تحتاج إلى أن تفهرس على الطريقة التي ذكرناها.

هذا ولا مانع من أن نقوم في زمانا بمثل ما قام به هؤلاء العلماء بالاعتماد على قاعدة المعطيات النصية إلا أنه يجب أن ننتهج في ذلك النهج السليم الذي اتبعه العلماء الغربيون

13- وقد أدخل هذا الرصيد كليا أو جزئيا في الكتب المدرسية في المغرب العربي وقد شاع عند الصغار لفظ «المعامة» للمايو ولفظ اللمجة (بضم اللام) للأكل الخفيف الذي يأكله الطفل في المدرسة بعد الظهر. ولم يتم ذلك بعد في البلدان العربية الأخرى والذي نتمنّاه هو نشر هذا الرصيد بالتعريفات والصور.

فيما أسموه بـ Dictionnaire analogique وهو مفيد جدًا (مع احترام خصائص العربية وما نشرته دار النشر Duden وما الفه الدكتور Corbeil في الكندا. وتدخل في هذا الصنف من المعاجم أيضا معاجم خاصة بالمترادفات والأضداد وهو أيضا مفيد.

ـ معاجم العلوم والتكنولوجيا :

تصدر في أيامنا هذه وفي كل سنة العشرات من المعاجم المزدوجة اللغة في المصطلحات العلمية والتقنية. والذي لاحظناه هو الفوضى الكبيرة في وضع المصطلح العلمي والاختلاف الكبير بين واضع وآخر وبلد وآخر. وهذا على الرغم مما أسّسوه من المؤسسات لتوحيد المصطلحات كاتحاد المجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب.

ويمكن أن نتفادى كل هذه الفوضى، في رأينا، بشيئين: أحدهما هو أن يتم إنجاز الذخيرة اللغوية العربية في أقرب وقت حتى تكون في متناول الجميع(بواسطة الأنترنيت) والثاني هوأن يتخذ جميع وزراء التعليم العالي والتربية العرب قرارا معينا في شأن المصطلحات على مستوى جامعة الدول العربية. فأما القرار المشار إليه فالغرض منه هو التزام المؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام (طوعا واقتناعا) على استعمال المعاجم الموّحدة التي تضعها المؤسسات المعنية بذلك بعد الاتفاق عليها بالنسبة لكل هذه المؤسسات. ولا يحصل هذا الاتفاق على هذه المعاجم إلا بعد الاتفاق على مقاييس علمية تختار على أساسها المصطلحات. وتكون هذه المقاييس هي التي اقترحها العلماء. ويمكن أن ينص هذا القرار أيضا على عدد من الإجراءات الرامية إلى كيفية تطبيقها عمليا. ونحن مقتنعون من ضرورة تدخل أعلى المسؤولين في هذا الميدان.

في الختام يمكن أن نقول بان المعجم العربية في وقتنا الحاضر هو في طور النمو وقد وضعت المعاجم الكثيرة في شتى ميادين العلم وهذا جيد إلا أن المعجم العام والمعجم المدرسي لا يزالان في نظرنا دون المستوى المطلوب كيفًا وكمًّا.وكل ما ظهر فلا يزال عالة

على المعاجم القديمة، في الغالب، من حيث المنهج وطريقة الاستقاء. فما رأينا من يهتم بالاستعمال الحقيقي للغة العربية إلا القليل.فقد اتفق بعض العلماء على عدد من المقاييس يعتمد عليها في اختيار الكلمات ومع ذلك قلَّمن يلجأ إليها من الواضعين للمصطلحات ويقي اختيار الكلمات على مقياس ذاتي ودون الرجوع إلى واقع الاستعمال للعربية الفصحى[14].

ولهذا أيقنا أن مشروعا يرمي إلى تدوين هذا الاستعمال- كما فعله أجدادنا- هو شئ ضروري جدا ونرجو من اللّه أن يوفقنا ويوفّق جميع من يساهم في إنجازه.

14- ثم إن الرجوع إلى الاستعمال لا يعني أن يدخل في المعجم الآلاف من الألفاظ الأعجمية.فالذي نتماه هو أن تجتهد المجامع اللغوية وكل المؤسسات العلمية لتضع اللفظ العربي المقابل على قدر الإمكان ويُدخل في المعاجم المتفق عليها وهذا مشكل آخر قد تعرّضنا له بالتفصيل في بحث عُرض في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في 2001 (عنوانه: «تأثير الإعلام المسموع في اللغة وكيفية استثماره لصالح العربية» .